مجلة الحكمة للدراسات الأدبية و اللغوية
Eissn :2600-6421 Issn : 2353-0464
المجلد 12 / العـدد:02 (2024)، ص 49-65

ثقافة المقوّمات السّرديّة في تمثّل الشّخصيّة اليهوديّة المعاصرة
-رو اية في قلبي أنثى عبرية لِخولة حمدي أنموذجا-

The culture of the narrative components represents the contemporary Jewish character -the novel In my heart is a Hebrew Female by Khawla Hamdi as a model

د. فلة شُوط[1]،

[1] جامعة الجزائر 02، fella.chott@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2024/05/25 تاريخ القبول: 2024/06/04 تاريخ النشر: 2024/06/07

ملخص:

أيقنت الرِّواية العربيّة المعاصرة مقوّمات سرديّة متِينة، حيث أنّها مكّنت القارئ من ولوج عالمٍ ثقافيٍّ رحبٍ، سِمته التّماثل الرّمزيّ مع الآخر في إطار البحث عن أصالة الشّخصيّة اليهوديّة المثقّفة في روح العمل الأدبيّ الخالص، الّذي ينأى بهذه المقوّمات إلى مستوى التّماهي مع الآخر في قالبٍ نثريٍّ معيّنٍ. ممّا استدعت الغاية الأدبيّة البحث في ثقافة الشّخصية اليهوديّة المتمثِّلة في رواية **(في قلبي أنثى عبرية) لِخولة حمدي.**

يتطلّب دراسة هذه الرِّواية نوعا من التّحصين الثّقافيّ في استجلاء روح الشّخصيّة اليهوديّة، الّتي عزّزها البطل اليهوديّ (جاكوب) في علاقته بالشّخصيتين المسّيحيّة والمسلمة على حدّ سواء. الأمر الّذي يبيّن لنا أنّ السّاحة الأدبيّة العربيّة مفتوحة على فضاءات سرديّة عديدة تتعرّض لهذا اليهوديّ بكثير من الهمجيّة والعداء والنّفور، غير أنّ مدوّنتنا تنأى عن هذه الملامح الجانبيّة وتغوص في روح الإنسان الحقّة الّتي تُملِي عليه واجبه اتّجاه الآخر.. يهوديّا أم مسِّيحيّا أم مسلما كان. وعليه نسعى في تحليلنا بعث هذه الشّخصيّة اليهوديّة العربيّة واستثمارها في فعل الخير.

كلمات مفتاحية: الشّخصيّة اليهوديّة، المقوّمات السّرديّة، تمثّلات الآخر، الثّقافة.

Abstract:

The contemporary Arab novel realizes strong narrative components, as it enabled the reader to enter a broad cultural world characterized by symbolic symmetry with the other within the frame work of the search for the authenticity of the educated Jewish character in the spirit of pure literary work, which distanced these components to the level to identification with the other in a specific prose form. This necessitated the literary purpose of researching the culture of the Jewish character, represented by Khawla Hamdi's novel *In my heart a female Hebrew*.

The study of this novel requires a kind of cultural fortification in elucidating the spirit of the Jewish character that's the hero Jacob strengthened in his relationship with the Christian and Muslim figures alike. The light that shows us that the Arab literary arena arena is open to many narrative spaces that the Arab literary arena is open to many narrative spaces that expose the Jew to a lot of barbarism, hostility and revulsion, but our blog shies away from these side features and submerges in the true human spirit that dictates his duty towards the other-Jew, Christian, or Muslim. Accordingly, we seek in our analysis the resurrection of this Jewish-Arab personality and its use in doing good Keywords: The Jewish character, narrative components, representations of the other, the culture.

المؤلف المرسل: د. فلة شُوط،

1. مقدمة:

انفتحت الرّواية العربيّة في العموم على جملة المقوّمات السّرديّة الّتي يمكِن عدَّها عِماد الخطاب السّرديّ، حيث تعتمد عليها في بنائها الفنّيّ والفكريّ والحضاريّ. تتمثّل هذه المقوّمات في كلّ من الشخّصيات والزّمان والمكان والأحداث والوصف والحوار.. كما تتكامل فيما بينها في صورة فنيّة أدبيّة خالصة لا تشوبها شائِبة، وهذا هو هدف العمل الأدبيّ الحقّ أي بحثه عن مكوّنات سرديّة مترابطة

ومتلائمة، تسعى لتحقيق روح الخطاب الرّوائيّ والفوز به في نوع من الجدّة والموضوعيّة المُحكمة. وعليه بدَت لنا أنّ الرّواية النّسويّة العربيّة في تصاعد ملحوظ، نتيجة الدّراسات النّقديّة المقدّمة في الموضوع والّتي تُثريه وتجدّده في كلّ إصدار جديد، ممّا يفسّر جدّية المبدع وبحثه عمّا يميّز عمله ويرفع به. لذا نجِد أنّ الرّواية النّسويّة العربيّة رواية هادفة بالدّرجة الأولى تبحث في تفاصيل دقيقة وتحاول في أغلب الأحيان طرح أفكار جديدة مُتّسِمة بالغموض والفرادة نوعاً، كما لو أنّ همّ الكاتبة العربيّة مختلفا عن باقي الكُتّاب، ويمكن أنّ يحتمل هذا الرّأي الصّواب والخطأ. ومثلما أشرنا سلفاً رأينا بضرورة الاشتغال على رواية الكاتبة التّونسيّة خولة حمدي (في قلبي أنثى عبرية)، ومحاولة عرض مجمل الأفكار والأحداث والمقوّمات السّرديّة الّتي أسهمت بشكل لافِت في تأصيل الشّخصيّة اليهوديّة المعاصرة، خاصة إنّ كانت شخصية عربيّة يهوديّة تختلف عن ذويها من الطّائفتين المسلمة أو المسِّيحيّة.

2. تمثّل الشّخصيّة اليهوديّة في الخطاب الرّوائيّ العربيّ:

تمّكنت الرّواية العربيّة من التّفتّح على العديد من التّوجهات النّقديّة والفكريّة في العقدين الأخيرين، حيث أنّها عرفت انتقالاً جذريّا في حركيّة المواضيع وديناميّة التّيارات الفكريّة، لأنّها خرجت عن قالبها السّرديّ الأوّل إلى قوالب فنّيّة مغايرة نوعاً ما.. وهذا ما جعلها رواية جادّة ثائرة إنّ صحّ التّعبير. وقد اتّسمت هذه الرّواية بِبعث الشّخصيّة اليهوديّة والتّعريف بها وكذا علاقتها بِمختلف الدّيانات والعقائد. تعرّض لهذه الشّخصية في بادئ الأمر الغربيّون حيث كتبوا عن هذا اليهوديّ الّذي هو منهم، لكنّه يختلف عنهم في نفس الوقت. وهذا ما فتح الآفاق لوصفها وتحليلها والتّدقيق في ملامحها.

انطلقت الرّواية العربيّة في اهتمامها بالشّخصية اليهودية بعد الحرب العالميّة الثّانيّة، وقد عدّت نوعا من الفتح التّبشيريّ لِصورة نمطية أولى متعارف عليها. فاليهود معروفون بالاستعلاء والتّكبّر والغرور المطلق، كما أنّهم أناس حِياديّون، يحبّذون العيش لوحدهم بعيداً عن أغلب المجتمعات الّتي تُعايِشهم، ويفضّلون العزلة والاختلاط مع ذويهم فقط دون البقية من أجانِب أوروبيّين أو

أمريكيّين أو عرب على الخصوص، ويمكن اعتبارهم أشخاص عنفوانيّين وعدوانيّين. وسنوضِّح هذا العنصر في الوريقات الموالية.

يعتبر فرويد (أنّ اليهود لديهم مرض البارانويا وأنّ البارانويا اليهودية بدأت منذ اعتقادهم أنّهم شعب الله المختار)، أي أنّهم مميّزون بشكلٍ لافتٍ، وهذه حقيقة خاطئة لا تصادِق عليها الوقائع المعاشة. فاليهودية كدِيانة تختلف كثيرا عن السِّياسة، لأنّ الصِّراع مع الآخر يكون سياسيّاً منغلقاً على نفسه لا يقبل المساومة خاصّة في نطاق المعاملات السِّياسيّة.

يشير الباحث محمّد متولي إلى " أنّ أغلب الرِّوايات العربيّة الّتي صدرت عن اليهود منذ مطلع القرن الحادي والعشرين، قد فَتَرت فيها هذه الرّوح وتغيّرت الصّورة شيئاً فشيئاً، فخَفت الحديث عن الصِّراع العربيّ الصِّهيوني، واتّجه الرِّوائيّون إلى الحديث عن اليهود الشّرقيّين عندهم تقترب تدريجيّاً ممّا يمكن أنّ نطلق عليه اليهوديّ النّبيل" (متولي، 2012)

نلاحظ من خلال اتِّباعنا لِوتيرة الخطاب الرِّوائيّ أنّ المبدعين العرب انصرفوا عن شخصية اليهوديّ الهمجيّ الّذي يدوس الآخر بحثا عن مصالحه الخاصّة فقط، حيث ارتقت الصّورة وأصبحت الرّؤية أكثر تفتّحاً، وهذا ما دفع بالكتّاب العرب إلى دراسة اليهوديّ العربيّ ومحاولة بعثه في العمل الأدبيّ، كما لو أنّه شخصية فاعِلة أي تقديم صورة إيجابيّة نوعاً ما تتّصف بالموضوعيّة دون الذّاتيّة. فقد تعدّدت هذه الدِّراسات والأعمال الرِّوائيّة الّتي تناولت اليهوديّ العربيّ كشخصية مسالمة ومناقِضة تقصد التّغيير المتعارف عليه مسبّقاً، ومن هذه الأعمال نجد: صورة اليهوديّ في الرِّواية العربيّة: عادل الفريجات، اليهوديّ في الرِّواية الفلسطينية: حسين أبو النّجا، اليهوديّ في التّخييل الرِّوائيّ العربيّ خارج فلسطين 2008: نبيل سليمان.

نلاحظ أنّ اليهوديّ مصوّر " في الآداب الغربيّة على أنّه ذلك المرء المنطوي على نفسه، المعتزل وليس هذا التّصور راجعا إلى ما يصدر عن المؤلّفين إشكالاتهم الشّخصيّة المسِيحيّة أو اليهودية، فقد كان يتأثّر بالمتغيّرات الدِّينيّة والاقتصادية والاجتماعية" (الأسطة، 2021، صفحة 07). وهذه الملاحظات كلّها تعكس جودة العمل الرِّوائيّ وتدفع بالكاتب بالدّرجة الأولى إلى التّأثر بما يكتبه، لأنّه أوّلا وآخرا وليد بيئته.

يزعم قوم اليهود أنّ " الله أمرهم بالقتل والإبادة، لأنّهم يحبّون ذلك، فتقول الأسفار: حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصّلح، فإنّ أجابتك إلى الصّلح وفتحت لك، فكلّ الشّعب الموجود فيها يكون لك للتّسخير ويستبعد لك، وإنّ لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها، إذا دفعها الرّب إلهك إلى يدك، فأضرب جميع ذكورها بحدّ السّيف، وأمّا النِّساء والأطفال والبهائم وكلّ ما في المدينة كلّ غنيمتها أعدائك الّتي أعطاك الرّب إلهك، هكذا تفعل بجميع المدن منك جدّا، وأمّا المدن القريبة فلا تستبق منها نسمة ما، بل تحرمها تحريماً، الحيثيّين والآموريّين، والكنعانيّين، والفرزيّين، والحوبيّين واليبوسيين، كما أمرك الرّب إلهك " (حمودة، د.س، صفحة 42). نفهم من هذا التّصريح أنّ جلّ المبادئ اليهوديّة منذ الأصل خاطئة ويغلب فيها الهزل والعدوان والتّغطرس والنّرجسيّة المفرطة.

يتّضح جليّا أنّ للشّخصيّة اليهودية العربيّة دورا فاعلا في الرّواية العربيّة ذاتها، لأنّها اختلفت عن عدِّها تلك الشّخصيّة النّمطيّة التّقليديّة المتعارف عليها منذ، القدم الّتي تبعث على الشّر والسّوء والقتل والعداء والنّفور والسّرقة والجحود واللاّ إيمان والشّكّ والضّياع.. حيث نجد "الرّواية العربيّة المعاصرة تقدِّم اليهود في صورة مغايرة على أنّهم جزء أصيل من الثّقافة العربيّة، ويبدو ذلك محاولة للتّغلب على إشكالية الأنا والآخر، ونبذ التّعصّب والعنصريّة، والدّعوة إلى الاتِّحاد والاندماج الحضاريّ، وقد تعدّدت مظاهر هذا الإلحاح على الوحدة بين الكشف عن إسهام اليهود في الحضارة العربيّة من قديم، والدّعوة إلى إذابة الفوارق بين الأديان، وتأكيد أنّ العلاقات الإنسانيّة هي الأصل وأنّها علاقات عابرة للأديان والقوميّات والسِّياسة، وتتجلّى وحدة الثّقافة في الإلحاح على فكرة الحبّ والزّواج بين اليهود وغيرهم من المسلمين" (متولي، 2012، الصفحات 81-82)، وهذه حقائق تثيرنا بِجدلٍ صفحات مدوّنتنا.

1.2 عرض الشّخصيّة في نظر النّقاد:

يذهب أرسطو إلى اعتبار الشّخصيّة عنصرا " ثانويّا بالقياس إلى باقي عناصر العمل التّخييليّ، وقد انتقل هذا التّصوّر إلى المنظّرين الكلاسيكيّين الّذين لم يعودوا يرون في الشّخصيّة سوى مجرّد اسم للقائم بالحدث" (العيد، 1990، صفحة 77)، فقد عدّوا الأحداث هي الأساس " المتحكِّمة في رسم

صورة الشّخصيّة وإعطائها أبعادها الضّروريّة والمحتملة، وتصبح المأساة لا تحاكي عملا من أجل أنّ تصوّر الشّخصيّة ولكنّها بمحاكاتها للعمل تتضمّن محاكاة الشّخصيّة من حيث صفاتها الأخلاقيّة وما تعبّر عنه من حقائق" (بحراوي، 1990، صفحة 208).

وبهذا يكونوا قد حصروا وظيفة الشّخصيّة في الأفعال الّتي تقوم بها لا غير، أي أنّها تدرس وتحلّل وفقا لما تقوم له، وليس على ما هي عليه. لكنّ عبر مرور السِّنين وتطوّر الدِّراسات النّقديّة، لم تعد تابعة للحدث وهذا نتيجة " ارتفاع قيمة الفرد في المجتمع ورغبته في السِّيادة، بالعبادة المفرطة للإنسان أو القوّة العظمى للشّخصيّة" (جريبه، 1998، صفحة 36).

يركّز الشّكلانيّون الرّوس نقدهم على أصحاب التّيار التّقليديّ المهتمّين بالشّخصيّة وربطها بالكائن الحيّ معتبرينها "كائنا لغويّا لا وجود له خارج الكلمات، وهي تشبه العلامة اللّغويّة المكوّنة من دال ومدلول، وإنّ وجودها ليس منجزا بشكل مسبّق، بل هو مرتبط بالتّحليل وآلياته وبالقارئ من خلال فهمه وتأويله للعمل" (القصاب، 2008، صفحة 179). فكلّ له تفسير معيّن للشّخصيّة، لكنّ وجودها الرّسميّ يكون بحضور الرّوائيّ الّذي يعرف كيفية تنسيقها وتركيبها وتقديمها للقارئ في هندام يليق بالنّص.

أمّا فلاديمير بروب يذهب في كتابه (مورفولوجيا الحكاية) إلى التّقليل من أهمّية الشّخصيةّ، قاصدا البحث في ماهية دورها وتأثيره، يقول: "أنّ ما مهمّ في دراسة الحكاية هو التّساؤل عمّا تقوم به الشّخصيات أمّا من فعل هذا الشّيء أو ذاك، وكيف فعله فهي أسئلة لا يمكن طرحها باعتبارها توابع لا غير" (لحمداني، 2015، صفحة 24). لكنّ هذه التّفاصيل هي ما يؤكّد عليه الرّوائيّ اليوم، حيث يسعى لفهم وربط علاقة الشّخصية الواحدة بباقي الشّخصيات متضمنة الدّور الّذي تؤدّيه.

3. تجليّات الشّخصية اليهوديّة كمقوّمٍ سرديٍّ في رو اية في قلبي أنثى عبريّة:

يتّصِف الخطاب الرّوائيّ العربيّ بجملة المكوّنات السّرديّة، الّتي تُثبِت أوصاله وتجعله رصين الأركان الفنّيّة، ومنها الشّخصيّة كمقوّم فاعِل في تكوين الرّؤية النّقديّة الشّاملة، حيث تعدّ هذه الشّخصيّة على العموم عنصرا فاعِلا مركزيّا يستند عليه الخطاب الرّوائيّ، ويلجأ إليه الرّوائيّون لمدى أهمّيته وضرورة حضوره في البناء الرّوائيّ .

عنوان المقال: ثقافة المقوّمات السّرديّة في تمثّل الشّخصيّة اليهوديّة المعاصرة
–رواية في قلبي أنثى عبرية لخولة حمدي أنموذجا–

الشّخصيّة هي المحرِّك الفعليّ الباعث للحياة والحركة في مختلف الأمكنة والمنسّق لتتابع الأزمنة وتركيبها ضمن سلسلة من الأحداث الّتي تتعرقل فيها وتيرة السّرد إذا انعدمت الشّخصيّة، فهي الدّعامة الأساسيّة الّتي ترتكز عليها الرّواية ومن أهمّ عناصر البناء الفنيّ في الخطاب السّرديّ " فبفضلها يقوم وبها ينمو ويستمِّر، كيف لا وهي دار المعاني الإنسانيّة، ومحور الافكار والأحاسيس والآراء المتصارعة ولهذه المعاني والأفكار المكانة الأولى في القصّة " (بوقرة، 2012، صفحة 341). وهذا ما منحها مكانة رفيعة لدى الرِّوائيّين والنّقاد لمرونتها وانصياعها الدّائم للكتابة الإبداعيّة .

إذا بحثنا من النّاحية الاصطلاحيّة في ماهيّة الشّخصيّة، نجدها ذلك الكائن الّذي يبحث في أحداث وتفاصيل تشكّل الشّخصيّة الرِّوائيّة، حيث أنّها تتغيّر وتتطوّر، تكبر وتصغر، تُهدم وتبنى، وهذه الصّلاحيّة الدّاخليّة منحها لها الرِّوائيّ لأنّها من صُنعه وخلقه. تتعدّد في الرِّواية الواحدة حسب توجّه كاتبها ومبدعها، يختار مثلا الشّخصيتين الطّيبة والشّريرة (على سبيل المثيل كاليهوديّ والمسلم)، المحتالة والذّكية، انطلاقا من أفكاره ومعتقداته وثقافته الّتي تتحكّم فيه.

تكمن قيمة الأدب الحقيقيّ في كيفيّة إنتاجه واقع الأديب وحياته الّتي عاشها وتعلّم على إثرها، ممّا أكسبه خِبرة في الحياة. وعليه تأتي شخصيته مفعمة بالأمل أو الألم حسب ما علمه الزّمن وشهدت عليه الأمكنة الّتي حاكاها يوما.

العلاقة الوطيدة بين الشّخصية والرّواية جعلت هذه الأخيرة تصوِّر " تجربة إنسانيّة تعكس موقف كاتبها إزاء واقعه بنفس القدر الّذي تفصح عنه، عن مدى فهمه لجماليات الشّكل الرِّوائيّ، والرِّواية تقول هذا وأكثر من خلال أداة فنّية هي (الشّخصيّة) وهذا ما جعلهم يعرِّفونها بقواهم إنّها فنّ الشّخصيّة" (وادي، 1980، صفحة 03).

إنّ الشّخصيّة هي أساس المحكيّ الرِّوائيّ لأنّها فلك دوران الأحداث، وهي من تبثّ الأمل في نجاح المضمون الرِّوائيّ، فالمبدع ينطلق من الأمكنة والأزمنة والأحداث الّتي جعلت الشّخصيّة ما هي عليه. أنّ كانت حزينة أو سعيدة. فتحرّكها ضمن هذه المكمِّلات السّرديّة يمنحها بعداً آخر، ويجعل القارئ متفاعلا معها ومصدِقاً إيّاها إذ تصبح تمثِّله في لحظة من اللّحظات أو تعكس مواقف عاشها أو يتمنّى عيشها، وعليه فالشّخصيّة الرِّوائيّة شبيهة بشخص الإنسان الحقيقيّ. وهذا ما يمكِّن الرِّوائيّ من

إحياء هذا الكائن الورقيّ المسمّى بالشّخصيّة من رواية لأخرى حتّى نصدّق أنّها تحيا معنا وتشاركنا يومياتنا وتشتغل معنا ليل نهار. الأمر الّذي يبيّن مدى صعوبة توظيفها في العمل الرّوائيّ وانعاشها بالمميّزات الّتي تتطلّبها قصد تحقيق رواية شخصية ناجحة.

تتحدّد ماهية الشّخصيات في الدّور الّذي تؤدّيه سياسيّا كان أم فكريّا أم اجتماعيّا. فقد " جرى الاعتراف بالرّوائيّ على أساس مقدرته في رسم الشّخوص، فالرّوائيّ الجيّد هو الّذي يستطيع أنّ يبتكر، ويبدع في رواياته، شخصيات جيّدة" (إبراهيم، 2001، صفحة 173).

ألقى السّارد على شخصياته صفات وخصائص تحدّدها، وترسم بها صورة " الإنسان العادي في الحياة اليوميّة من اسم ونسبة وأسرة وعلاقات اجتماعيّة معيّنة حقّق مبدأ الإبهام بالواقع " (مرشد، 2005، صفحة 40)، لأنّ هذه الشّخصيّة خاضعة لمبادئ معيّنة ليست ناجمة عن مزاج مبدع أو قابلية قارئ بل وفق مرجعيات ثقافيّة وايديولوجيّة معيّنة تجعل هذه الشّخصيّة موفّقة أكثر من تلك. " فالشّخصيات حيث تقوم بأفعالها وتنشئ علاقات فيما بينها، إنّما تقوم بذلك بناء على حوافز تدفعها إلى فعل ما تفعل انطلاقا من كاتب يسيّرها ورصد واقع اجتماعيّ يصفها" (العيد، 1990، صفحة 77).

لقد انفتحت رواية " في قلبي أنثى عبرية " على العديد من التّأويلات والأبعاد الفكريّة والحضاريّة والصّراعات النّفسيّة والإيديولوجيّة والعقائديّة الدّينيّة وكذا الثّقافيّة، كجوهر أساسيّ في تحوير الشّخصيّة الواحدة في علاقتها بتأصيل كلّ من الزّمان والمكان والأحداث ..

يقف بحثنا على مساءلة هذه الشّخصيّة اليهوديّة العربيّة بالذّات، ومدى انسجامها وتلاحمها وتنافرها وتشاحنها مع الشّخصيتين المسّيحيّة والمسلمة، باعتبار هذه الرّوح اليهوديّة مصدراً أوّليّاً في تحقيق السّكينة والهدوء والسّلاسة للعمل الأدبيّ أم تحفيزه على تعزيز النّزاعات الدّاخليّة الّتي تنادي بها هذه المدوّنة ونحن في غنى عن الغلوّ في هذه القضايا المتشابكة. لقد أثارت الكاتبة التّونسيّة في هذه الرّواية مسائل كثيرة ومتنوّعة مفادها العقائد الدّينيّة المتفتّحة الّتي يمكن أنّ تقبل التّعامل مع باقي الدّيانات دون تحيّز مسبّق، حيث مهّدت لهذه الشّخصيّة اليهوديّة وعرّفت بها بكلّ انسيابيّة، وعليه بدا لنا أنّ ما كتبته الرّوائيّة حول حقيقة هذه الأحداث وتواجد الشّخصيات في أرض الواقع تأثير فعليّ وجوهريّ وضامِن فنيّ لنجاح هذا القالب السّرديّ دون آخر، فالقارئ في أغلب الأحيان

يبحث عن الحكايات والقصص الّتي تثير مقاصده ومشاعره وتحرّك هِمّته، خاصّة إنّ كانت حقيقيّة مستوحاة من الحياة الاجتماعيّة المتعارف عليها، والّتي يمكن أنّ يصطدم معها دوماً.

اعتمدت خولة حمدي في بداية الرّواية التّمهيد لتاريخ اليهود حيث تقول: "معظم يهود تونس قدِموا من إسبانيا في أواخر القرن الخامس عشر للميلاد. لكنّ كتب التّاريخ تحكي أنّ يهود جربة، الجزيرة التّونسيّة. قدِموا من المشرق بعد حرق معبدهم من قبل نبوخذ نصر، ملك بابل وقائد جيوشها، قبل 2500 سنة... غزا القدس وأخرج اليهود منها، سبى نساؤهم وأولادهم، ونهب ثرواتها وأموالها، وانهى مملكة اليهود... فتوافد بعضهم على جربة، الجزيرة السّاحرة، حيث استقرّ بهم المقام جيلا بعد جيل، حتّى أنشؤوا أشهر دور عبادتهم "كنيس الغريبة"، الّذي أصبح قِبلة اليهود من جميع أنحاء العالم، ووجهة حجّهم في القرون الأخيرة، والّذي يعدّ أقدم معبد يهودي في إفريقيا، ويقال إنّه يحتوي واحدة من أقدم نسخ التّوراة.. وأقاموا الكثير من المعابد والمقامات الّتي تجاور المساجد، كما يجاور اليهود المسلمين.. لكنّ عدد اليهود المقيمين في جربة في الوقت الحالي لا يتجاوز الالفين، وهم من أحفاد المهاجرين الأوائل الّذين تشبّثوا بالأرض وأقرّوا انتماءهم إلى البلاد التّونسيّة، واندمجوا بين السّكان واكتسبوا عاداتهم وطباعهم، حتّى لم يعد هناك من يميّزهم عنهم، غير بقائهم على دين أجدادهم)" (حمدي، 2013، الصفحات 08-09).

تُعرّج الكاتبة على تضارب الدِّيانات وتَناقُضها فيما بينها، حيث عرضت لشخصيات يهودية متباينة منها من يتّسم باللّيونة في التّعامل، ومنها من هو غاضب وساخط ونافِر لذاك الآخر لا يتقبّله بأيّ شكل من الأشكال. فاليهوديّة " لم تعد تعبّر عن الانتماء الذّاتيّ بقدر ما تعبّر عن الانتماء العرقي والهويّة والقوميّة والطّبيعة الشّخصيّة والسِّمات النّفسيّة المشتركة لمن يعتنقون هذا الدين" (متولي، 2012، صفحة 65). وهذا ما يفسِّر توظيف الرِّوائيّة لشخصية (جاكوب) الرّجل اليهوديّ الّذي عاش بأسرة يهوديّة لكنّه تأثّر بالدِّين الإسلاميّ بما أنّه عايش المسلمين، وتكفّل لمّا كان شابّا بفتاة صغيرة ذات الخمس السّنوات بتربيتها بعد وفاة والدتها الّتي عاهدها بِحفظ الأمانة، ووعدها بتعليمها المعالم الدِّينيّة الإسلاميّة، الأمر الّذي جعله يحافظ على وعده وأنّ يصحب الصّغيرة ريما إلى المسجد لحضور دروسها بالرّغم من رفض زوجته القاطع، في قول الكاتبة: " كانت والدتها قد أوصته بالحفاظ على

دينها، وعدم محاولة التّأثير عليها، وهو يفعل ما بوسعه حتى يحترم وصيتها، ويؤدي الأمانة على أكمل وجه. كانت والدتها تأخذها معها أيّام الجمعة إلى المسجد لحضور الصلاة والدرس الذي يليها، لذا لم يفكر مطلقا في حرمانها منها" (حمدي، 2013، صفحة 16).

تشير الكاتبة في ثنايا الرّواية إلى التّحول الّذي تشهده علاقة ديما بجاكوب الرّجل الأجنبي الّذي ربّاها وتكفّل بها، لكنّها ابتعدت عنه لمّا تعرّفت على الدِّين الإسلاميّ ونهلت منه وهي في سنّ مبكِّرة، حيث تراجعت علاقتهما كثيرا بسبب الأفكار والمسلّمات الدِّينيّة لكلّ منهما ما دفع به أنّ يرسلها عند أخته راشيل، الّتي تقطن في بيروت بعيدا جدا عنهم بما أنّهم في تونس، وكلّ هذه التّفاصيل أسهمت في تشابك الأحداث، خاصّة وأنّ زوجته فرضت عليه إرسالها وإلاّ تتركه وحيدا دون أولاده، وعليه وجد نفسه مضطرا لإرسالها والتّخلي عنها، لكنّ هذا السّفر جعل الشّخصيّة ديما تتعرّف على أناس مختلفين أشرار وطيّبين ساهموا في تحريك مسار الأحداث والدّفع بها قدما.

" فإذا كانت العلاقة بين العرب واليهود هي أبرز حلقات الصِّراع المعاصر، فلا عجب أنّ ترصد الرِّواية بعد أنّ صارت اليوم ديوان العرب طبيعة هذه العلاقة بكلّ أنماطها وتحوّلاتها" (متولي، 2012، صفحة 74). وقد غدا هذا مطلبا أساسيّا في الرِّواية الّتي تبحث في الدِّيانات وعلاقات الأنا والآخر والغيريّة، مثل مدوّنتنا هذه وما تذهب إليه خولة حمدي في عرض كتاباتها. فدواخل الإنسان دفيئة لا يعرفها الغير، كما أنّنا لا نستطيع إدراك مشاعر الآخر عبر الحدس فقط، بل يلزم التّأكيد بالفعل والمعاملة.. لذا عرّجت الكاتبة في روايتها عن شخصيات أساسيّة أخرى أسهمت حتّى الأخير في تفجير الهوّة والثّغرات الّتي تطرحها كثرة الأحداث المفعمة والّتي بدورها تتحرّك في عجلة مستمِّرة دون توقفّ.

إنّ الشّخصية ندى ابنة لامرأة يهودية متزمِّتة وصارمة ومتشبِّثة بدينها حدّ التّصنع والغلوّ، ووالدها مسلم لكنّ والديها منفصلين منذ أنّ كانت وأختها صغيرتين، ما جعل والدتهما تتزوج ثانية من مسيحيٍّ لا تتوافق كثيرا وديانته، ومن هذا المنبر نجد اليهوديّ في أصله متعصِّب لدينه حتّى لو أظهر العكس بأنّه متفتّح ويقبل كلّ الدِّيانات دون المساس بديانته فقط. وهنا نلاحظ أنّ الرِّوائيّة بسّطت العلاقة نوعا ما حيث جعلت اليهوديّين ينصاعوا في أكثر من حدث للإسلام دون كثير من التّساؤل والرّيبة، وهذا ما لا نعرفه عن اليهوديّين الأحقّاء، بما أنّهم يرفضون كلّ من ليس يهوديّا رفضاً ولا يتقبّلونه إلاّ

بالحجّة والقناعة الفانية.. لكنّ هذه الحقيقة لا تنفي أنّهم يتأثرون بباقي الدِّيانات كالإسلام والمسِّيحيّة .

قد تبدو " المرأة اليهوديّة ذات جمال مدهش، وامرأة مليئة بالحبّ تضحِّي بنفسها من أجل الاخرين، امرأة تعشق وتتّبع في عشقها صوت قلبها، وهي تتخلّى عن المعتقدات القديمة وعن شعبها، لتجد، في النِّهاية الإنسان فيها" (الأسطة، 2021، صفحة 11). وفعلا يصدق هذا القول مع ما ذهبت له الرِّوائيّة خولة حمدي، وهي تكتب عن سونيا اليهوديّة الصّارمة لتعاليم دينها والّتي ضعفت وجرت وراء قلبها وتزوّجت مسلما، غير أنّها ندمت ونفرت من هذا الزّوج وغادرته دون رجعة، ما فاقم كرهها الشّديد للمسلمين العرب. كما أنّها ترفض لاحقا وبشدّة وإصرار زواج وحبّ ابنتها ندى المراهقة لأحمد الشّاب المسلم المناضل، الّذي يؤدِّي دورا فاعلا هو وريما في اعتناق ندى الإسلام والتزامها بالشّريعة الدِّينيّة والبحث عن أصله والاقتناع به. فكلّ هذه الدِّيناميّة شكّلت نوعاً من الحوار الدّاخليّ الثّائر الّذي اتّسمت به الشّخصيات في علاقاتها المتشابكة في العائلة الواحدة من مسيحيّة ويهوديّة ومسلمة، راحت ضحيتها الصّغيرة ريما الّتي توفيت في حادث مأساويّ فظيع خلّف أثرا عميقا في نفس ندى الّتي تعلّقت بها كثيرا، وتعلّمت منها شعائر الدِّين الإسلاميّ.

تقول خولة حمدي في خضِّم هذا الصِّراع الايديولوجي الباحث عن الهويّة والقوميّة، " حدّق حسّان بعدم استيعاب في الرّجل الّذي ارتدى زيّ راهب كنيسة، وصليب من الحجم الكبير يتدلّى من عنقه. كان في الأمر خلل ما... في البداية فتاة يهودية تدخلهم بيتها، وثم تستعين براهب مسيحيّ لعلاج الجرح، وتقول بأنّه أخوها.. التفت حين سمع صرير الباب وهو يفتح من جديد. كانت ندى قد عادت وهي تحمل عددا من الأغطية والوسائد" (حمدي، 2013، الصفحات 41-48).

وهذا دليل قاطع على طيبة اليهوديّين وحسن تعاملهم مع باقي الدِّيانات، فليس كلّ من هو يهوديّ أو مسِّيحيّ، معناه سيّئ وغير صالح، كما لا ينبغي الحكم على أيّ شخص كان دون مواجهة أفعاله وأعماله، فردّ الفعل المسبّق دائما له عواقب وخيمة في المعاملات الإنسانيّة كافّة، وهذا ما يبدو أنّ الكاتبة تسعى توضيحه وإبانته.

تظهر الشّخصيّة اليهوديّة المتواجدة في الرّواية متناقضة ومفعمة بالحياة، تبحث عن الاستمرار بالرّغم من أنّها منغلقة على ذاتها، تدّعي التّفتّح كما لو أنّها تخاف من فقدان مقوّماتها، ما يجعلها عرضة للانحلال وتغيير المِلّة مثلما حدث مع الشّخصية ندى الّتي اعتمرها الشّكل بخصوص دينها والفضول للتّعرف على دين جديد ألا وهو الدّين الإسلاميّ. كما نفهم من الرّواية تتبنّى الصّراع الثّنائيّ في الغالب بين اليهوديّة والإسلام أكثر من المسّيحيّة الّتي بقيت تحافظ على توازنها المختلّ، بمعنى أنّها تبدو في الظّاهر ديانة لا لون لها ولا تقبل الدّخول في صراعات هي في منأى عنها.

تبدو المرأة المسلمة شخصية هشّة في نظر اليهود والمسّيحيّين صغيرة كانت أم كبيرة، ولقمة سهلة، وهذا ما تعرّضت له الصّغيرة ديما الّتي كانت تتعرّض للتّحرشات والكلام البذيء من زوج المرأة الّتي آوتها عندها، لكنّها سعت للحفاظ على نفسها والتّخلص منه، السّبب الّذي جعلها تعيش بمنزل ندى وتتّفق وإيّاها بما أنّ كلتاهما مسالمتين وهادئتين. في قول الروائيّة: " طالعتها راشيل في قلق. كان هناك شيء متغير فيها. هندامها غير مرتب، وحجابها موضوع بإهمال فوق رأسها، كأنّها خرجت للتّو من معركة ما. لكنّ نظراتها البريئة كانت تشتعل حزما وقوة. وإنّ بدا الذّبول على وجهها الشّاحب. احتضنتها راشيل في حنو دون أنّ تدرك حقيقة ما ألمّ بها" (حمدي، 2013، صفحة 205). نفهم من هذا التّحليل العرضي أنّ الشّخصيات في تشابكات مستمِرة خلقتها الكاتبة عن قصد حتّى تؤكّد على فكرة الهويّة والتّمييز العنصريّ الّذي يتحيّز له اليهود خصوصا والمسيح عموما.

4. خاتمة:

وفي الأخير، نستنتج أنّ للعمل الرّوائيّ مميّزات ومقوّمات سرديّة خالصة، تجعل منه أدبا شفّافا مرنا، خاصّة إذا كان مثل كتابات **خولة حمدي** الّتي تطرح في مجملها قضايا مصيريّة، تخاطب الفكر العربيّ والعقل البشريّ، حيث تحثّه على المساءلة مرارا وتكرارا حتّى تتّضح الفكرة ويزول الغموض الّذي اكتنفها في بادئ الأمر.. رواية في قلبي أنثى عبرية طرح استثنائيّ لِخلاصة شخصيات متلاحمة ومتنافرة في ذات الوقت تجمعها وتفرّقها ديانات ومعاملات وعادات وتقاليد، وهذا كلّه يُدرس ضِمن الثّقافة العربيّة الّتي تطرح الشّخصية فردا بغضّ النّظر عن ديانته، ما يهمّها تفاعله وتعامله وأسلوب عيشه وتحاضره مع ذاك الآخر أينما حَلّ.

5. قائمة المراجع:

fdg: dfg .*gdf*.(fgf) .dfgf.

أحمد مرشد. (2005). *البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله* (المجلد ط 1). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

آلان روب جريبه. (1998). *نحو رواية (دراسات في الاداب الجديدة)*. (مصطفى إبراهيم مصطفى، المترجمون) مصر: دار المعارف.

حسن بحراوي. (1990). *بنية الشكل الروائي (الفضاء-الزمن-الشخصية)* (المجلد ط 01). المغرب: المركز الثقافي العربي.

حسن يوسف حمودة. (د.س). ملامح الشخصية اليهودية. اطروحة دكتوراه، كلية الدعوة الإسلامية، قسم الأديان والمذاهب، القاهرة.

حميد لحمداني. (2015). *بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)* (المجلد ط 4). المغرب: المركز الثقافي العربي.

خليل إبراهيم. (2001). *بنية النص الروائي* (المجلد ط 1). الجزائر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

خولة حمدي. (2013). *في قلبي أنثى عبرية* (المجلد ط 1). مصر: دار كيان.

طه وادي. (1980). *المرأة في الرواية المعاصرة* (المجلد ط 2). القاهرة: دار المعارف.

عادل الأسطة. (2021). *اليهود في الرواية العربية "جدل الذات والآخر"*. رام الله، فلسطين: الرقمية.

محمد سيد أحمد متولي. (2012). *صورة اليهود في الرواية العربية المعاصرة رؤية سردية مغايرة*. تاريخ الاسترداد 15 03, 2021، من www.mshreq.journals.ekb.eg.

نعمان بوقرة. (2012). *الخطاب الأدبي ورهانات التأويل* (المجلد ط 1). الأردن: عالم الكتب الحديثة.

وليد إبراهيم القصاب. (2008). *من قضايا الأدب الإسلامي* (المجلد ط 1). دمشق: دار الفكر.

يمنى العيد. (1990). *تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي* (المجلد ط 1). بيروت: دار الفارابي.